صوت الدعاة
WWW.DOAAH.COM
رئيس التحرير
د/ أحمد رمضان
مدير الجريدة
أ/ محمد القطاوى

خطبة الجمعة القادمة
وزارة الأوقاف المصرية

خطبة بعنوان: ثقافة الحوار: أساس السلام في المجتمعات

بتاريخ 9 محرم 1447هـ - 4 يوليو 2025م

في زمن تتعالى فيه أصوات الخلاف، وتتشابك فيه المصالح، تُصبح الحاجة إلى ثقافة الحوار أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، فالحوار ليس ترفًا فكريًّا، ولا مجرد أداة للتواصل، بل هو قيمة إنسانية نبيلة، وأساس راسخ، تُبنى عليه المجتمعات المتماسكة، والحضارات المستنيرة، والعلاقات السلمية التي تُعلي من كرامة الإنسان.

إن غياب الحوار لا يُولّد إلا التوتر، والتعصب، وسوء الفهم، بينما الحوار يفتح آفاقًا جديدة للفهم، والتعايش والتعاون، ومن هنا، فإن ترسيخ ثقافة الحوار في وجدان الأفراد، والمجتمعات، يُعدُّ خطوة جوهرية نحو تحقيق سلام حقيقي لا يقوم على القهر أو الصمت، بل على التفاهم، والاحترام المتبادل.

في هذا المقال، نسلّط الضوء على أهمية ثقافة الحوار، وأثرها العميق في بناء السلام، ونتوقف عند أبرز التحديات التي تواجه ترسيخها في مجتمعاتنا المعاصرة.

. العناصر:

- **أهمية الحوار في المجتمعات المعاصرة .**
- **ثقافة الحوار ركيزة أساسية؛ لتحقيق السلام .**
- **تحديات بناء ثقافة الحوار .**
- **سبل تعزيز ثقافة الحوار في المجتمعات .**
- **الخلاصة .**

أهمية الحوار في المجتمعات المعاصرة

الحوار يُعدُّ من الركائز الأساسية؛ لبناء المجتمعات المعاصرة، وتطوّرها، وله أهمية متزايدة في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها العالم من حيث التنوع الثقافي، والتقدم التكنولوجي، والانفتاح الإعلامي.

وتبرز أهمية الحوار في تحقيق السلام في المجتمعات الحديثة في النقاط الآتية:

أ- تعزيز التفاهم والتعايش:

فالحوار يُساهم في تقليل التوترات بين الأفراد والمجتمعات، وذلك من خلال فهم وجهات النظر المختلفة، واحترام الآخر، مما يعزز ثقافة التسامح، والتعايش السلمي بين طبقات المجتمع المتعددة.

ب- حل النزاعات بطرق سلمية:

في زمن تتفاقم فيه الخلافات، وتكثر فيه التحديات، يُعدُّ الحوار وسيلة فعَّالة؛ لحل النزاعات على المستويات الفردية، والجماعية، فهو يفتح باب التفاهم، ويعمل على التخفيف من حدة الخلاف دون اللجوء إلى العنف أو الصدام.

ج- تنمية الفكر النقدي وتوسيع الأفق:

الحوار ليس مجرد تبادل للآراء، بل هو عملية عقلية تُشجع على التفكير النقدي، فعند الاستماع لوجهات نظر مختلفة، يُصبح العقل أكثر مرونة، وقدرة على التحليل، مما يُثري الفكر، ويكسر الانغلاق الفكري، ويُعزز من قدرة الأفراد على تقبُّل الاختلاف، ويُعلِّمهم أن الحقيقة قد تكون متعددة الأوجه، وأن النمو المعرفي لا يأتي إلا بالانفتاح، وتقبل الآخر.

د- دعم المشاركة المجتمعية والسياسية:

من خلال الحوار الفعَّال، يكتسب الأفراد القدرة على التعبير عن آرائهم، والمساهمة بفاعلية في صنع القرار، هذا الدعم للحوار المجتمعي، والسياسي، يُعزز من مبادئ الديمقراطية الحقيقية، ويُقوي المشاركة المجتمعية الفاعلة، فالدولة القوية هي التي تُصغي لأبنائها، وتُمكِّنهم من أن يكونوا شركاء حقيقيين في بناء مستقبل وطنهم.

هـ- مواكبة التعددية الثقافية في ظل العولمة، والهجرات المتزايدة:

أصبح من الضروري تعزيز الحوار بين الثقافات، والديانات؛ لتفادي الصِّدامات، ولبناء مجتمعات متماسكة رغم اختلاف الخلفيات.

في عالمٍ تتزايد فيه الهجرات، وتتسارع وتيرة العولمة، وتتلاقى فيه الثقافات، والديانات بشكل لم يسبق له مثيل، أصبح من الضروري تعزيز الحوار بين الثقافات، والديانات، فالحوار هو الدرع الواقي الذي يُجنِّبنا الصِّدامات المحتملة، ويُمكننا من بناء مجتمعات متماسكة، قادرة على الازدهار، وتحقيق السلام.

ز- بناء الثقة، والاحترام المتبادل:

الحوار المستمر والصادق هو المُكوِّن الأساسي؛ لبناء علاقات قوية، تقوم على الثقة، والاحترام المتبادل، سواء كان ذلك في محيط الأسرة، أو بيئة العمل، أو حتى بين الحكومات والشعوب، فالثقة هي الركيزة التي تضمن الاستقرار الاجتماعي، والسياسي.

ثقافة الحواركركيزة أساسية؛ لتحقيق السلام

في عالم يموج بالاضطراب، وتكثر فيه الصراعات الفكرية والثقافية والسياسية، تبرز ثقافة الحوار كطوق نجاة، وكمفتاح أساسي؛ لتحقيق السلام في مجتمعاتنا المعاصرة، فلغة الحوار أصبحت ضرورة وجودية، وأحد الأعمدة الراسخة التي لا يُبنى سلام حقيقي بدونها.

وتبرز قيمة الحوار في تحقيق السلام، أنه أداة بناء لا مِعول هدم، فحين نتحدث عن الحوار، لا نعني مجرد كلمات تُلقى في الهواء، بل نقصد تواصلًا إنسانيًا راقيًا، يُزيل الغشاوة عن العيون، ويمنح كل طرف فرصة حقيقية؛ لطرح وجهة نظره، والقبول بالرأي الآخر، فبدون الحوار، نظل أَسْرَى لأحكام مسبقة، وأصوات تتحدث ولا تُصغي، وتزعم امتلاك الحقيقة المطلقة.

ولبناء ثقافة حوار فعَّالة تهدف إلى تحقيق السلام في المجتمع، نحتاج إلى غرس مجموعة من القيم الجوهرية في وعي الأفراد، والجماعات، منها:

الاحترام المتبادل :وهو الأساس الذي لا يقوم حوار بدونه، وهو أن ترى في الآخر إنسانًا له كرامة، وله الحق في التعبير عن وجهة نظره، دون دون تجريح أو الانتقاص من قدره.

الاستماع الفعال :والذي يتمثل في الانتباه الكامل لكلام المتحدث، وفهم رسالته، حيث إن ذلك يساهم في فهم وجهات النظر المختلفة، وحل الخلافات بشكل أكثر فعالية .

التعاطف الإنساني :يعتبر التعاطف أساسًا للتعايش السلمي، والتسامح بين الأفراد والمجتمعات، ويتمثل في القدرة على فهم ومشاركة مشاعر الآخر، وفهم خلفيات مواقفه قبل الحكم عليه، مما يساهم في فهم وجهات النظر المختلفة، وتقبل الرأي، واحترام الآخر .

التفكير النقدي البنَّاء :وذلك بتحليل الأمور بعقل مُنفتَح، وتقييم الآراء المطروحة بطريقة موضوعية، ومنطقية، بهدف الوصول إلى تعزيز التفاهم المتبادل، وإيجاد حلول لما يعرض من مشكلات.

القبول بالاختلاف :حيث إنه الأساس في بناء مجتمعات أكثر تسامحًا، وانسجامًا، وهو سلوك إنساني نبيل، يعزز التفاهم، والتعايش السلمي بين الناس.

الشجاعة في التعبير :وتتمثل في القدرة على الاستماع للآخرين، واحترام آرائهم، حتى لو كانت مختلفة عن آرائنا، مما يساهم في إحداث تغيير إيجابي في المجتمع؛ لأن الكلمة الطيبة، وإن خالفتك، تفتح القلوب المغلقة، وتؤدى إلى الوصول إلى ما تسمو إليه النفس من أهداف.

تحديات بناء ثقافة الحوار

إنَّ الدعوة إلى الحوار مهمة شاقَّة محفوفة بالتحديات، تتطلب شجاعة الإيمان، وصبر المُصلِحين، وحكمة القلوب الرحيمة التي تُدرك أن بناء ثقافة الحوار في مجتمعاتنا لا يتم إلا بتجاوز عقبات راسخة في العقول، لكن رغم كل تلك العوائق، يبقى الحوار أملًا في الوصول إلى سلام حقيقي، يسود البلاد، والمجتمعات.

وتكمن هذه التحديات فيما يلي:

أولاً :التطرف الفكري، ورفض الآخر:

أخطر ما يواجه الحوار، هو عقل لا يؤمن بغيره، أو فكر يعتبر نفسه المقياس الوحيد للصواب، وكل ما عداه ضلال، فالتطرف، أيًّا كان شكله، دينيًا أو أيديولوجيًا أو غيره، هو التحدي الأكبر أمام الحوار؛ لأنه يُغلق الأذن عن الاستماع، والعقل عن الفهم، والقلب عن الرحمة.

ولذا، فإن أولى خطوات بناء الحوار هي القضاء على التطرف، وغرس ثقافة التعدد، والتأكيد أن الاختلاف لا يفسد للود قضية، بل يثري العقول، ويُوسِّع المدارك.

ثانياً: المصالح الضيقة... حينما يُغذّى الانقسام عمداً:

في مجتمعات كثيرة، تقف مصالح شخصية أو جماعية حائلًا أمام أي حوار حقيقي، فهناك من يعيش على الخلاف، ويستفيد من الانقسام، ويستثمر في العداء؛ لأن الصراع يُبقيه في موقع القوة أو النفوذ والربح.

وهنا، لا بد من وعي مجتمعي ناضج، يُدرك أن الوحدة لا تبنى إلا على الحوار المشترك، والعمل على قبول وفهم الآخر.

ثالثاً: البيئات القمعية التي تكمم الأفواه:

إن بناء ثقافة الحوار، يستلزم فضاءً حرًا، ومؤسسات تحترم الإنسان، وتشجع على التعبير، وتضمن حقوق الجميع في التفاعل الإنساني، والفكري دون خوف، فعندما يكون هناك قمع لحرية الرأي، وتجريم للكلمة الحرة، يصبح الناس خائفين من الكلام، فضلاً عن النقاش والحوار، وفي مثل هذه الأجواء، يتحول الصمت إلى خيار اضطراري، لا احترامًا، بل نجاةً من العقاب.

رابعاً: وسائل الإعلام، والتواصل الاجتماعي:

بين أيدينا اليوم أدوات هائلة للتواصل، لكنها سلاح ذو حدين، فبدل أن تكون وسائل الإعلام، والاجتماعات الرقمية، منابر لبناء الفهم، تحوَّلت في أحيان كثيرة إلى أدوات تضليل، ومنصات لبث الشائعات، وغرف صدى، تؤكد ما نؤمن به فقط، وتُقصي كل ما يُخالفنا.

وهنا، تصبح ثقافة الحوار ضحيةً للتضخيم، والتحريض، والانغلاق الرقمي؛ لذلك أصبح من الضروري العمل على إعداد إعلام مسؤول، ومنصات ترفع صوت العقل والحكمة، وتُروّج لقيم الحوار والتسامح، لا الكراهية والانقسام.

سبل تعزيز ثقافة الحوار في المجتمعات

الحوارُ ليس مجرد تبادلٍ للكلمات، بل هو مفتاح القلوب، وطريق العقول، وسُنّة الفطرة التي فُطر الناس عليها، به تزدهر الأمم، وتتصافى النفوس، وتُبنى الحضارات، وتسقط الأسوار التي أقامها الجهل والتعصب، وفي زمن تتكاثر فيه أسباب الفرقة، وتعلو فيه أصوات النزاع، يصبح تعزيز ثقافة الحوار فريضة وضرورة.

حيث إن المجتمعات التي تفتقد ثقافة الحوار، تظل حبيسة الانغلاق، رهينة الصدام، مهما بلغ تقدمها المادي، أما المجتمعات التي تجعل من الحوار منهجًا، فإنها ترسم لنفسها طريق التماسك، وتُحصِّن أبناءها من الغلو، والتطرف، والانقسام، وهناك العديد من السبل التي تعزز ثقافة الحوار، وتعمل على ترسيخ مبدأ السلام، نذكر منها ما يلي:

أولًا: التعليم:

مناهج التعليم ليست مجرد أدوات لنقل المعرفة، بل هي وسيلة لتشكيل القيم، وبناء الوعي، ولذلك، فإن إدخال مفاهيم الحوار، وقيم التسامح، ومهارات التفكير النقدي، والاستماع الفعال، واحترام الرأي الآخر، في مراحل التعليم المبكرة، يُعدّ من أولى الخطوات التي تؤدى إلى تحيق سلام عام، وشامل.

ثانيًا: الأسرة:

الأسرة هي المدرسة الأولى، وهي النبع الذي منه ينهل الطفل نظرته إلى العالم، فإذا نشأ في بيتٍ لا يُحسن فيه أحد الإصغاء للآخر، فكيف له أن يتعلّم أدب الحديث، أو فن الحوار؟ إن غرس قيم الاحترام، والتعاطف، والقدرة على التعبير عن الرأي دون خوف، والاستماع إلى الآخر دون انفعال، يجب أن يبدأ في الأسرة من جلسات الطعام، ومن الأحاديث اليومية، ومن الخلافات الصغيرة التي تصبح دروسًا كبيرة حين تُدار بالحكمة.

ثالثًا: المؤسسات الدينية:

إن منابر المساجد، وقاعات الكنائس، ومجالس العلماء، قادرة على أن تُعيد لقيم الحوار بريقها الأصيل، والعمل بها كفريضة شرعية، وسلوك إيماني، يَنهى عن التعصب، ويُعلي من شأن التعايش، ويُربي الناس على القول الحسن، والجدال بالتي هي أحسن.

ففي نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة الكثير من الدعوات التي تحث على فتح لغة الحوار، وقبول الآخر، فالله – تبارك وتعالى – يقول في كتابه{ :قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ{[آل عمران: ٦٤] ، وسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم - حافلة بمواقف الحوار مع أصحابه، ومع مخالفيه وأعدائه.

رابعًا: الإعلام صوت المجتمع ومِرآته:

يلعب الإعلام دورًا حيويًا في تعزيز ثقافة الحوار، وذلك من خلال توفير المنصات الآمنة التي تتيح للناس التعبير عن آرائهم، دون خوف من السخرية أو الإقصاء، فالإعلام الملتزم يمكن أن يكون حليفًا قويًّا في بناء مجتمعات متصالحة مع ذاتها، تسودها المحبة والسلام.

خامسًا: القيادة الملهمة الرشيدة:

إن القادة سياسيين كانوا أو دينيين أو اجتماعيين، يملكون قدرة هائلة على التأثير، وحين يكون القائد مؤمنًا بثقافة الحوار، متواضعًا في رأيه، منفتحًا على مخالفيه، صادقًا في دعوته، يفتح مجالًا رحبًا لبناء مجتمع واعٍ، يسوده الأمن والأمان، ويتحقق فيه السلم، والسلام.

ختاماً

في عالم يموج بالاضطرابات، فليس السلام مجرد غياب للنزاع فحسب، بل هو وجود حقيقي للفهم المتبادل، والاعتراف بالآخر، والقدرة على حل الخلافات بالعقل، والاحترام، فثقافة الحوار تفتح الأبواب نحو التعايش، وتمنح كل فرد صوتًا مسموعًا، وفرصة للفهم والتفاهم، وهذا يؤكد على أن الحوار هو الطريق الأمثل لبناء مجتمعات قائمة على الفهم والاحترام، وهو الوسيلة المثلى للوصول إلى تحقيق سلام داخلي، ومجتمعي، فبدونه تصبح المجتمعات أكثر عرضة للتفكك، وسوء الفهم، والنزاع.

الخلاصة

يبقى الحوار هو الجسر الحقيقي الذي يعبر بنا من الخلاف والتعصب والتطرف الفكري في شتى المجالات إلى آفاق السلام والتفاهم والوئام، فالحوار ليس مجرد وسيلة لحل النزاعات فحسب، بل هو أساس السلام في المجتمعات، وهو قيمة حضارية تُعزز الاحترام المتبادل، وتفتح قنوات التلاقي بين الثقافات والأجيال، إن بناء السلام الحقيقي يبدأ من إيماننا بأن التعايش السلمي لا يتحقق إلا بالاحترام المتبادل، ونبذ العنف والتطرف، وغرس ثقافة الحوار في وجدان الأجيال، ليكون الحوار دائمًا البديل الحضاري للصراع والانقسام؛ لننعم جميعًا بالسلام والأمان.